

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن الإنسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى : { وإن تعجب فعجب قولهم إذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد } وقال : { أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم } وقال ههنا : { ويقول الإنسان إذا ما مت لسوف أخرج حيا * أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا } يستدل تعالى بالبداءة على الإعادة يعني أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئا أفلا يعيده وقد صار شيئا كما قال تعالى : { وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه } وفي الصحيح [يقول] تعالى : كذبنى ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني أما تكذبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأتي وليس أول الخلق بأهون علي من آخره وأما آذاه إياي فقوله إن لي ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .]

وقوله : { فورك لنحشرنهم والشیاطین } أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعا وشیاطینهم الذین كانوا یعبدون من دون الله { ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا } قال العوفي عن ابن عباس : يعني قعودا كقوله : { وترى كل أمة جاثية } وقال السدي في قوله جثيا : يعني قياما وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله وقوله : { ثم لننزعن من كل شيعة } يعني من كل أمة قال مجاهد { أيهم أشد على الرحمن عتيا } قال الثوري عن علي بن الأقرم عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال : يحبس الأول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أتاها جميعا ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرما وهو قوله : { ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا } .

وقال قتادة : { ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا } قال : ثم لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر وكذا قال ابن جريج وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى : { حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أوراهاهم لأولاهاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهاهم لأوراهاهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون } وقوله : { ثم لنحشرنهم بالذين هم أولى بها صليا } ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلوا بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال في الآية المتقدمة { قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون }

